74

الى ممثلي البلاد الاسلامية

محاضرة عقيب مؤتمر ثقافي عام

للاستاذ ابي الحسن علي الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ممثلى البلاد الاسلامية

سادتى ! عرّجت على المؤتمر الثقافى العام الذى قد اشترك فيه ممثلوا البلاد وبعثات الامم ووفود النوادى فرائيت معرضا للجنسيات والوطنيات والحضارات ورائيتكم ايها السادة المسلمون شامة بين الناس لا لأنكم تمتازون عن زملائكم فى الشارة واللباس، بل لأنكم تمثلون تلك الأمة العظيمة التى كانت ولاتزال شامة بين الأمم،

كان العالم قبل ثلاثة عشرقرناً سائراً سيره الطبيعى لاينكر من امره شئى، فكانت القرى والمدن عامرة بالسكان، وكانت العواصم الكبرى زاخرة العمران شامخة البنيان وكانت الحرف البشرية ووجوه المعاش فى ازدهار وانتشار، كانت الزراعة، وكانت التجارة وكانت الصناعة، فبينما كانت سكة الفلاح فى شغل ونشاط، كانت القوافل التجارية غادية رائحة بين الشرق والغرب، وكانت الاسواق مشحونة

بالمتاجر والبضائع وكان الصناعون مكبين على اعمالهم ، وكانت الحكومات والامارات والدول غنية بأموالها ورجالها لكل وظيفة رجل كفؤ بل رجال أكفاء وكان على وجه الارض كل نوع من البشر وكل لون من الحياة وكل مظاهر من مظاهر المدنية ، لايرى فى الحياة الانسانية المادية عوز او فراغ ولم تكن فى المدنية وظيفة شاغرة يترشح لها مترشح جديد ، وكانت كأس الحياة مترعة فائضة لاتطلب المزيد ،

فى هذه الحال ظهرت امة فى جزيرة العرب ووجد نوع جديد من البشر ، وكأنى بالامم المعاصرة وهى تتساءل: اى داع الى ظهور امة جديدة والامم على وجه الارض كثيرة منتشرة وما شغل هذه الامة الحديثة وما مهمتها فى العالم ؟!

اذا كانت هذه الامة انما بعثت للزراعة وعمارة الارض فقد كان فى فلاحى الطائف وأكارى مدينة يثرب ، وزراع وادى الفرات والنيل وربوع گنگا و جمنا غنى عن امة زراعية جديدة فقد اصبحت اراضى هولاء الفلاحين وبلادهم جنة تدر لبنا وعسلا ، واذا كان المسلمون انما بعثوا ليشتغلوا بالزراعة فقط فلماذ الم يبعثوا فى العراق والشام وفى مصر

والهند مثلا وهى بلاد مخصبة زراعية ولماذا كان مبعثهم فى واد غيرذى زرع ؟

واذا كانت هذه الامة انما بعثت للتجارة فقد كان فى يهود يثرب وفى انباط الشام وفى اقباط مصر وتجار السند كفاية، فقد احكموا فن التجارة وانتشروا فى العالم ، واذا كانو اقد بعثو اليشتغلوا بالتجارة حقا ، فلماذا لم يبعثوا على طريق القوافل التجارية وبقرب من اسواق التجارة الكبرى ؟

واذا كانت هذه الامة انما بعثت للصناعة واعمال اليد فقد كان فى قيون البلاد المتمدنة واصحاب الصنائع والحرف - وانهم لكثير - غنى وكفاية !

واذا كانت هذه الامة انما بعثت لتنضم الى الحكومات الرومية والا يرانية وتشغل افرادها وظائف هذه الحكومات ومنا صبها ، فقد كان فى اهل الشام و فارس غنى و كفاية فى الادارة وانهم ليزاحمون الا جانب بالمنا كب ويد فعونهم بالراح ،

واذا كانت هذه الامة انما بعثت لعيش هنيىء ومطعم

شهى ، ومشرب مرئ ، وملبس رضى ومسكن بهى لاالشيئ إخر ، وانما مناها وهمها ان تلقى لبوساً ومطعما لم تكن بدعاً من الامم ، وكانت منافسة لنا نحق لنا ان نقا تلها ونذودها عن منا هلنا وقد ضاقت بنا مواردنا فكيف تسع امة جديدة ؟

واذا كانت هذه الامة انما تحاول ملكا اوتريد ان تؤسس دولة فيجب ان تصرح بذالك ولانتظاهر بالدين وتتخذ لذلك طريق الملوك والفاتحين ،

وان الطريق الى كل ذالك - من زراعة و تجارة و صناعة و وظيفة و حياة بذخ وترف و ملك و شرف - غير الطريق التى سلكتها هذه الامة الجديدة التى سفهت احلامنا وعابت آلهتنا ونعت على عقائدنا واخلاقنا واعمالنا و دعت الى دين جديد و سارت فى سبيل ذلك فى شوك وقتاد وجا هدت فى غير جهاد ، فقد كان الطريق الى كل ذلك مسلوكة معبدة قد سلكتها الامم من قبل ،

هذا يا سادتى ما اظنه قد تناجى به ضمير الانسان الحي فى فجر الاسلام ، ولاالومه ، ولا استغرب هذا

السوال ، فان هذا السوال طبعى ينبغى ان يهجس فى قلب الانسان وينطق به اللسان عند كل ناشئة ، فلماذا لاينشأ هذا السوال عند ظهورامة بأ سرها ؟

ماهو الجواب ؟ اذا كان الجواب فى الاثبات و اذا كان مبعث هذه الامة فى الحقيقه لشئ مما ذكرنا ، ولم تكن لهذه الامة مهمة جديدة فى العالم و رسالة خاصة الى الامم كانت هذه الامة حقا من فضول الامم ومن المتطفلين على مائدة العالم !

ولكن لم يكن مبعثها لهذا ولا ذاك ، والامم والاشخاص لايبعثون لشئ من هذا وانما هى من طبائع البشر لاتحتاج الى نبوة النبى و بعثة امة و جهاد طويل و زلزال عالمى لم يسبق فى التاريخ ، زلزال فى المعتقد والاخلاق والمجتمع والميول والنزعات وفى نظام الفكر ومنهاج الحياة

لقدكان مبعثها لغرض سام جداً ، لمهمة غريبة طال عهد الانسانية بها وتشا غلت امم الانبياء عنها حتى نسيتها وذالك ما خاطب به الله سبحانه و تعالى هذه الامة «كنتم خيرامة اخرجت للناس تامرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و

تؤمنون بالله» فنبه على ان هذه الامة ليست نابتة نبتت فی الارض کاشجار برية او حشائش شيطانية بل انها امة أخرجت ولامرما اخرجت، وانما لم تظهر لمصلحتها فقط کسائر الامم بل انها اخرجت للناس، و ذالک ماتمتاز به هذه الامة فی التاريخ فمامن امة الا وهی تسعیٰ لا غراضها کانما خلقت لها، وهی خیرامة اخرجت للناس وذالک يرجع الى شغلها و مهمتها وهی الامر بالمعروف والنهی عن المنکر والايمان بالله،

ظهرت نواة هذه الامة فی مکة قلب جزيرة العرب فقام العقلاء من قريش وهم الآخذون بزمام الحياة فی البلاد — و نشروا کنانتهم و قاسوا الناشئة الجديدة بمقائيسهم التی عرفوها والفوها ووزنوها فی ميزان الانسان الذی طالما و زنوا فيه اصحاب الطموح فوجدو هم خفيفة الوزن طائشة الکفة و ذهبوا الى امام الدعوة الاسلامية و اول المسليمن فی العالم - صلی الله عليه وسلم - فقال قائلهم

«انک قداتيت قومک بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وکفرت به من مضیٰ من

آبائهم فاسمع منى أعرض عليک اموراً تنظر فيها ، لعلک تقبل منها بعضها »

قال فقال له رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع

قال يا ابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالاً ، جمعنالک من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وان كنت انما تريدبه شرفاً سود ناک علينا حتى لا نقطع امراً دونک ، وان كنت تريد به ملكا ملكناک علينا »

استمع رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم لكل ذلک فى هدوء وتان ، ثم رفضه فى غير شک وتاخير ، ولم يكن هذا العرض من قريش على شخص الرسول صلى‌الله عليه وسلم بل كان على هذه الامة التى كان يمثلها ويقودها ، ولم يكن رفض رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم لما عرضت قريش رفضا عن نفسه الكريمة فقط بل كان رفضاً عن امته الى آخر الابد ،

اقتنعت قريش بهذه المحاورة ويئست من مساومة هذه الامة ولم تعد تعرض على‌الرسول صلى‌الله عليه وسلم مباشرة

وعلى هذه الامة بواسطة ما عرضت من قبل و قطعت منها أملها ».

وكان بعد ذلك صراع مستمر و نزاع طويل ولم يكن نزاعاً فى اغراض المادة، وشهوات البطن والاستئثار بموارد الرزق والتغلب على الاسواق بل كان نزاعاً بين الاسلام والجاهلية بمعنى الكلمتين نزاعاً بين حياة العبودية والانقيادلله تعالى ولرسوله وبين الحياة الحرة المطلقة التى لا تعرف قيداً ولا تخشى معاداً ولا حسابا،

وكان فى نتيجة ذلك معركة بدر الحاسمة، وقد قادالنبى صلى‌الله عليه وسلم الى ساحة القتال جيشا لايزيد عددالمقاتلين فيه على ثلاثماة وثلاثة عشر رجلاً والجيش المنافس فيه الف، وكان النبى صلى‌الله عليه وسلم يعلم يقينا ان لو وكل المسلمون الى انفسهم وقوتهم المادية لكانت النتيجة معلومة واضحة، نتيجة كل قليل ضعيف امام قوى كثيرالعدد

فزع الرسول الى‌الله تعالى فى انابة نبى والحاح عبد ودعاء مضطر وشفع لهذه العصابة فى كلمات صريحة واضحة

نيرة خالدة هي خير تعريف لهذه الامة و بيان لمهمتها وغرضها الذي خلقت له ،

لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لو هلكت هذه العصابة وكانت فريسة للعدو اقفرت المدينة واوحشت اسواقها وكسدت التجارة ، وبطلت الزراعة او تعطل شغل من اشغال الحياة او وقفت ادارة الحكومات ، لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك لان شيئا منها لم يتوقف على المسلمين ولم يقم بهم بل كان قبل وجود المسلمين ولا يزال في غنى عنهم ،

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر شيئا بعث المسلمون لاجله وقام بالمسلمين وجدهم فقال «اللهم ان تهلك هذه العصابة لن تعبد»

أجاب الله دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقضى بانتصار المسلمين على عدوهم وبقائهم ، فكانما كان بقاء المسلمين مشروطاً بقيام حياة العبودية بهم وقيامهم بها ، فلو انقطعت الصلة بينهم و بين العبادة ورواجها وازدهارها في العالم انقطعت الصلة بينهم وبين الحياة ولم يبق على الله لهم حق وذمة ،

واصبحوا كسائرالامم خاضعين لنواميس الحياة وسنن الكون بل كانوا اشد جريمة واقل قيمة من الامم الاخرى اذلم يشترط لبقائها وحياتها مثل ما اشترط لهم وكان كما اخبرالله تعالى « قل مايعبؤ بكم ربى لولادعائكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً »

وقد حافظ المسلمون على هذا الشرط وبروا بهذا العهد و تذكروا انهم انما نصروا على عدوهم - وقد كاديأتى عليهم ويستا صلهم فى ساحة بدر - وتركوا على ظهر الارض لان عبادة الله منوطة بهم على ارض الله

بهذه الرسالة انبثوا فى العالم وحملوها الى الملوك والسوقة والامم، وفى سبيل ذلك هاجروا وجاهدوا ولاجل ذلك حاربوا وعاهدوا ، ولم يزالوا يعتقدون انهم مبعوثون من الله الى الامم وحاملوا راية الاسلام فى العالم ،

ارسل سعد قبل القادسية ربعى بن عامر الى رستم قائد الجيوش الفارسية واميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجاسه بالنمارق المذهبة والزرابى الحرير واظهر اليواقيت واللآلى الثمينة ، والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الامتعة

الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب و دخل ربعى بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد واقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على راسه فقالوا له ضع سلاحك ، فقال انى لم آتكم وانما جئتكم حين دعوتمونى فان تركتمونى هكذا والا رجعت ، فقال رستم ائذنوا له فاقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها فقالوا له ماجاء بكم ؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، فارسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن ابى قاتلناه ابداً حتى نفضى الى موعود الله ، قالوا : وما موعود الله ؟ قال الجنة لمن مات على قتال من ابى والظفر لمن بقى (١) !

اباح الله للمسلمين الطيبات وفسح لهم فى طرق الكسب ووجوه المعاش ولم يضيق عليهم فى ذلك فقال « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى

---

(١) البداية والنهاية لا بن كثير

للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة» وقال «فاذا قضيتم الصلواة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله» ولكن الله لم يبعثهم لذالك امة، ولم يرضه لهم غاية ومهمة بل خلقهم للسعى للآخرة وخلق اسباب الحياة لهم قال النبى صلى الله عليه وسلم «ان الدنيا خلقت لكم وانكم خلقتم للآخرة» وجعل الحياة واسبابها خاضعة لمهمتهم التى بعثوا لاجلها فاذا زاحمتهم فى سبيل مهمتهم او غلبتهم عليها رفضوها و اذا تلكأ المسلمون فى ذلك عاتبهم الله عتابا شديداً وقال «قل ان كان آبائكم وابنائكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال ن اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله و رسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين»

ارادالانصار رضى الله عنهم ان يفرغوا لاصلاح اموالهم لايام اكتفاءاً بانصار الاسلام فعاتبهم الله على ذلك وانزل «ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة»

قال سيدنا ابوايوب الانصارى رضى الله عنه «انما نزلت فينا معشرالانصار انالما اعزالله دينه وكثر ناصروه قلنافى ما

بيننا لو اقبلنا على اموالنا فاصلحناها فانزل الله هذه الاية (١)

ولكن مع الاسف الشديد قد تشاغل المسلمون اليوم بالدنيا كالامم الجاهلية وسعوا ورائها وعقدوا حياتهم بها ، فاذا اشرفتم على مدنهم و بلادهم من مرقب عال لم تميزوا بينهم وبين افراد امة جاهلية ، سعى وراء المادة فى غير اقتصاد ، واكتساب من غير احتساب ، سهر فى غير طاعة ، وعمل فى غير نية ، تجارة فى لهو عن ذكر الله و حرفة فى جهل عن دين الله ، و وظيفة فى الاخلاص لغير الله و حكومة فى مشاقة حكم الله ، شغل فى ضلالة ، و قعود فى بطالة !

هل اذا اطلعتم يا سادتى على بلاد اسلامية ورايتم هذه الامة فى غدواتها و روحاتها الى الاسواق والادارات ومصالح الحكومة عرفتم انها امة خلقت لشيئى آخر ، وبعثت لغرض آخر اسمى من هذه الاغراض التى يسعى لها الكافر والمؤمن ؟

ان هذا الاسلوب من الحياة لحجة ظاهرة لاهل الجاهلية على المسلمين فلو نطقوا لقالوا ماذنبنا ايها المسلمون اذ عرضنا على نبيكم المال والسيادة والملك فابى ورفض كل

---

(١) رواه ابوداؤد فى سننه

ذلك الانراكم تسمون وراءالذى رفضه نبيكم كانما خلقتم لاجله ، اما آذيتم نبيكم بقبول ما رفضه عنه وعنكم ، ؟ !

و اذا كنتم تسمون لمال اوجاه او شرف او حكم على قطعة ارض فلماذا تظاهرتم بالدين واقمتم واقعدتم الدنيا لاجله و كدرتم علينا صفوالعيش ، لقد كنتم و كنا فى غنى عن هذهالحروب الطويلة التى ايتمت النبين وايئمت النساء واجلت الناس عن الاوطان !

اعيدوا الينا اذاً تلكالدماء التى اريقت فى ساحة بدر واحد وحنين وخيبر واليرموك والقادسية ، واعيدوا الينا تلك النفوس التى قتلت فى سبيلالدين !

و مـاذا يكون جوابنا لوتعرض لنا احد من اخلافهم الاحيـاء وقال ماغنائكم ايها المسلمون لقد ساهمتمونا فى اسباب الحياة وخلقتم لنا فوق ذلك مشاكل كثيرة فى الحياة السياسية والاجتماعية ، ولانراكم تسدون عوزاً او تصلحون خللا او تلمون شعثاً او تقيمون زيغاً فىالحياة!

عفواً ايها السادة وسماحاً ايها الكرام فقد طال العتاب وقديما قال الشاعر العربى «وفى العتاب حياة بين اقوام»

ان حياة الامم ايها السادة الكرام بالرسالة والدعوة وان الامة التى لا تحمل رسالة ولا تستصحب دعوة حياتها مصطنعة غير طبعية ، وانها كورقة انفصلت من شجرتها فلا يمكن ان تحيا بسقى ورى « فاما الزبد فيذهب جفاءاً واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض »

اننا ايها السادة امة الحاضر وامة المستقبل قد كتب لنا الخلود و النصر لاننا اصحاب دعوة و رسالة نبوية وهى الرسالة الابدية التى قضى الله بخلودها و ظهورها ، فلسنا تحت سيطرة المادة وحكم الزمان المنقلب بشرط ان نقوم بدعوتنا ونستقل برسالتنا ونعود امة دعوة نبوية كما بدأنا دعوة فى ما بيننا معشر المسلمين و دعوة فى غيرنا من الاجانب فى الدين ،

لقد تخلفنا عن الامم المعاصرة فى العلوم الطبعية والاسباب الحربية وفى الاخذبا سباب الرقى المادى بعدة قرون ، وقد كانت المسابقة بيننا وبينهم كمسابقة الارنب والسلحفاة الا ان الارنب كان ساهراً مع خفته وسرعته والسلحفاة نائمة رغم بطئها و ثقلها ، ولو جارينا هذه الامم

اليوم لاستغرق ذلك قروناً ثم كانت المقارنة بحساب دقيق، فاذا فاق العدو وسبقنا بشعرة في القوة المادية والعدد الحربية رجحت كفته لان المادة عمياء وهي من القساوة والحياد التام بمكان لا تفرق فيه بين المحق والمبطل والشريف والوضيع ،

ولكن الدعوة والرسالة - وهي الروح التي تقهر المادة وتسخر الاسباب وتستنزل النصر - تأتي بخوارق ومعجزات وطالما قهرت القاهر وفتحت الفاتح ، وطالما خضعت الحكومات القاهرة ودانت الملوك الجبابرة بقوة الدعوة والرسالة للمماليك والصعاليك وقد جربت ذلك هذه الامة مرتين بوضاحة في التاريخ ،

مرة لما خرج العرب من جزيرتهم الى البلاد الرومية والفارسية في ثياب صفيقة مرقعة وفي نعال وضيعة مخصوفة يحملون سيوفاً بالية الاجفان رثة المحامل على خيل قصيرة متقطعة الغرز وسرعان ما قهرت دعوتهم ورسالتهم وحياتهم الامم الرومية والفارسية التي كانت كدمى كسيت حللا فاخرة واعوادا اسندت الى الجدار لحرمانها من رسالة وقعودها عن دعوة ، وكان الانتصار في الاخير للرسالة

على النظام و للروح على المادة وللمعنى على الظاهر ،

ومرة ثانية لما قهر التتر ـ ذلك الجراد المنتشر ـ العالم الاسلامى من اقصاه الى اقصاه و خضدوا شوكة المسلمين فلم تقم لهم قائمة ولم يقف فى وجههم واقف و كادالمسلمون يصبحون اثرا بعد عين واستولى اليأس على قلوبهم حتى كان من الامثال السائرة، «اذا قيل لك ان التترا فهزموا فلا تصدق » هنالك نعات الدعوة الاسلامية فعلها و نفذت فيهم فاذا القاهر يصبح مقهوراً و اذا الفاتح مفتوح الدين المفتوحين واذا التتر يلفظون بكلمة الاسلام ويدينون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، و يصبحون امة اسلامية ،

وان الرسالة الاسلامية لتاتى بالمعجزات اليوم وتقهر الامم ـ طوعاً لاكرها بسلطانها الروحى ونفوذها العجيب ،

ان آبائكم ايها السادة المسلمون قد انتشروا فى عواصم الجاهلية الاولى ومراكزها الكبرى يقولون «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادةالله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جورالاديان الى عدل الاسلام» وخلصوا الامة الرومية من عبادة المسيح والصليب والاحبار والرهبان

والملوك وخلصوا الامة الفارسية من عبادة النار وعبودية البيت الكياني ، والامة الطورانية من عبادة الذئب الابيض والامة الهندية من عبادة البقر الى عبادة الله وحده واخرجوها نعلاً من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، والعيون تنتظر منذ زمان رسل المسلمين ينتشرون فى عواصم الجاهلية الثانية يهتفون الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة المادة والبطن الى عبادة الله وحده ومن ضيق عالم التنافس والاثرة والجشع المادى الى سعة عالم القناعة والايثار والزهد ونعيم الروح وطمانينة القلب ، ومن جور النظم السياسية والاجتماعية الى عدل الاسلام ،

لقد انحرفت حياة المسلمين – ايها السادة ! ومدنيتهم عن مركزها و مثلها الكامل ولم تزل الشقة تطول بينهما والخرق يتسع حتى اصبحت حياة مدنية لاتشبه اصلها الا ببعض شعائر الاسلام الظاهرة فى بلاد المسلمين ، وصعب على المسلم اليوم ان يتمثل تلك الحياة الماضية فسافروا معى ايها السادة على صفحات التاريخ فى المسافة الزمانية وارجعوا الي عهد الرسالة المحمدية علي صاحبها الصلوة والتحية وقفوا

بنا فی مدینة الرسول صلی الله علیه وسلم ساعة نشاهد حیاتها وتصورها لابناء هذا العصر لعلهم یدرکون مافاتهم

هذه هی المستعمرة الاسلامیة الاولی وهی مدینة بمعانی الکلمة لیست بزاویة من زوایا الشیوخ او مدرسة من مدارس العلم او مسجد نحسب ولکنها مدینة جامعة قد تمثلت فیها الحیاة الانسانیة بجمیع معانیها و نواحیها ، ففیها الاسواق وفیها المزارع وفیها البساتین وفیها الاسروالبیوتات وفیها التاجر وفیها الفلاح وفیها الملاک وفیها من یاکل بعرق جبینه وکدیمینه ،

وهاهوذا قداسفر النهار والناس راجعون من المسجد النبوی فی سکینة ووقار ولکن فی خفة ونشاط ، وهنا دکان یفتح فی السوق ، وهنالک سکة تمشی فی الحقل ، وهذا بستان من نخیل یسقی وذلک اجیر یشتغل فی حائط علی أجرة یاخذها فی المساء قد اندفعوا الی اشغالهم بما سمعوا من فضیلة کسب الحلال وعول العیال وطلب مرضاة الله بالمال ، قفوا منهم بجنب وارقبوهم عن کثب ترونهم خفاف الایدی فی العمل ذلل اللسان بذکر الله ، عامری

القلوب بالحسبة وطلب الاجر يحتسبون في اشغالهم مالا يحتسب المصلي اليوم في صلاته مقبلين بقلوبهم الى الله و بقالبهم الى شغلهم

وها هوذا قد اذن المؤذن فاذا بهم ينفضون ايديهم مما كانو افيه كان لم يكن لهم به عهد وكأنما نشطوا من عقال وخف الى المسجد « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله و اقام الصلواة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار »

وها هوذا قد قضوا صلاتهم وانتشروا في الارض يبتغون من فضل الله ويذكرون الله وقد مالت الشمس الى الغروب ، فرجعوا الى بيوتهم و قابلو اهلهم و جلسوا اليهم يتحدثون معهم ويلاطفونهم و يؤنسونهم لماسمعوا بالامس من فضائله وثوابه ، وناموا بعد صلوة العشاء واذا بهم قائمون امام ربهم في الاسحار لهم دوى كدوى النحل وفي صدورهم ازيز كا زيز المرجل ، وينصرفون بعد صلوة الصبح الى اشغالهم في نشاط الجندي و قوته كان لم يتعبوا في النهار ولم يسهروا في الليل ،

اليست المدينة اذاً يا سادتي مسجدا واسعاً فهل رأيتم فيها غير عبادة ودين ؟ اوليسوا عاكفين في هذا المسجد الواسع طول النهار وطول الليل ؟ وهل دار الفلك على زاوية اعمر من هذه الزاوية ــ ان كان لابد من هذا المصطلح ــ واكثــر منها منقطعين الى الله ؟!

وانظروا الى مجالس الذكر والعلم في المسجد وقــد ضمت صنوفاً وانواعاً من الناس فهذا هوالفلاح الذي رأيناه في النهار على حافة حقله، وهذا هوالاجير الذي رأيناه ينزع الدلاء ويسقي النخيل في بستان يهودي ، هذا هو التاجرالذي رأيناه في سوق المدينة يبيع، وهذا هوالصناع الذي وجدناه مشتغلاً بصناعته وليسوا الان الاطلبة علم، وقد هجروا راحتهم ــ وهم في حاجة اليها بعد شغل النهار ــ وتركوا اهلهم وهم في حنين اليهم ، لانهم سمعوا ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع (١) ، ولانهم سمعوا ان من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى

(١) اصحاب السنن

الجنة (١) ولانهم سمعوا «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الانزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملئكة و ذكرهم الله فى من عنده »(٢) وتراهم ساكتين كأن على رؤسهم الطير خاشعين كأن الوحى ينزل «حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلى الكبير » يتسابق العلم والخشوع فلا يدرى ايهما اسبق وتبتدر المعانى الى القلوب والكلمات الى الاذان فلا يدرى ايها اسرع ،

ومن تفقدونه فى هذا المسجد ممن عرفتموه فى النهار فلانه قد اتفق مع جاره على التناوب فيحضر يوماً ويغيب يوماً وهذا دور جاره ولكنه على اتصال بما يدور فى هذا المسجد من حديث وخبر وحكم وآية بواسطة جاره

و هؤلاء هم القراء قد انقطعوا الى العلم فاذا جنهم اليل انطلقوا الى معلم لهم بالمدينة فيدرسون اليل حتى يصبحوا فاذا اصبحوا فمن كانت له قوة استعذب من الماء

(١) رواه مسلم (٢) رواه مسلم

واصاب من الحطب ومن كانت عنده سعة اجتمعوا فاشتروا الشاة و اصلحوها فيصبح ذلك معلقا بحجر رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

وما من احد في المدينة الا ويعرف الحلال والحرام وما يتعلق بحياته و حرفته وصناعته وشغله من الاحكام، ويحفظ من القرآن مايقوم به في صلوته، ثم هو مستمر في طلب العلم يزداد كل يوم فقها في الاحكام ورسوخاً في الدين و حرصاً على العمل وشوقا الى الآخرة ورغبة في الثواب وهذا هو العلم الذي يمتازون به وعلمهم بالفضائل اكثر من علمهم بالمسائل ، وباصول الدين اكثر من علمهم بفروعه وبمحكماته اكثر منه بمتشابهاته ، «ابر الناس قلوبا واعمقهم علماً واقلهم تكلفا» (٢)

واذا تعلم احد منهم شيئا من الدين اسرع الى اخوانه يعلمهم لانه سمع «الا فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع (٣) وسمعوا نبيهم يقول «انما بعثت معلما (٤) »

(١) مسند احمد ص ١٣٧ ج ٣ (٢) من كلام عبدالله بن مسعود رض
(٣) متفق عليه (٤) رواه الدارمي

وسمعوه يقول «لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه‌الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها (١)» وسمعوه يقول «ان‌الله و ملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في حجرها و حتى الحوت يصلون على معلم الناس الخير (٢)»

وهكذا انقسم المسلمون في المدينة بين طالب ومعلم فاما طالب واما معلم بل كل واحد منهم طالب ومعلم في وقت واحد ياخذ من مكان ويدفع الى مكان

افليست المدينة اذاً مدرسة واسعة عامرة بالطلبة والمعلمين وهل عرف التاريخ مدرسة اوسع واعمر من هذه المدرسة النبوية التي يتعلم فيها التاجر والفلاح والاجير والصناع والمحترف والمشغول والشاب الناهض والشيخ الفاني، يتعلمون فيها بجميع مشاعرهم فالاذن تسمع والعين تبصروالقلب يشعر ويتأثر والعقل يفكر والجوارح تعمل ، يشاهدون المعاني في صورها وامثالها ، ولا يقرأونها بلفظها فقط ، فاذا عرفوا الايثار على النفس مثلا عرفوه في ضيافة ابي طلحة لضيوف

(١) متفق عليه (٢) رواه الترمذي

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بات هو واطفاله جياعاً ، وفى قصة الجرحى الذين آثروا اخوانهم على انفسهم فى الماء فماتوا عطاشا، واذا عرفوا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوه فى قصة خبيب رضى الله عنه لما رفعوه على الخشبة نادوه يناشدونه اتحب ان محمداً مكانك؟ قال لا والله العظيم ما احب ان يفدينى بشوكة يشاكها فى قدمه فضحكوا منه (١) فعرفوا من معانى الايثار والحب مالا يعرفه اكبر لغوى واديب وعالم علوم النفس ،

عرفوا احكام الاجتماع فى الاجتماع واحكام الاختلاط فى الاختلاط واحكام التجارة فى التجارة واحكام المعاشرة فى المعاشرة، فقدروا ان يحافظوا على دينهم ونياتهم وخشوعهم وذكرهم فى المجامع والمجالس وفى صخب الاسواق وفتنة البيوت وفى مجامع الشياطين ومقاعدهم، فاذا خاضوا فى لجة الحياة واندفع بهم التيار لم يغلبوا على امرهم، شان الذى يتعلم السباحة فى بحر متلاطم و نهر فياض فكانوا فى المسجد اذا خرجوا من المسجد ، وفى الصلاة اذا انصرفوا من الصلاة ، بررة

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص ٦٣ ج ٤

القلوب، صادقى الوعد، سديدى القول فى المساجد والاسواق معاً ، وفى المعتكف والحانوت معاً ، وفى الحضر والسفر معاً ، ومع الصديق والعدو معاً . ،

حتى اذا نادى منادى الجهاد « انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله » وهتف هاتف الجنة « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين » دارت حماليق وجوههم ورقصت قلوبهم فى صدورهم تحولت المدينة الى ثكنة واسعة فماهى بالتى رأيتموها واصبح اهلها جنوداً متطوعة فماهم بالذين عرفتموهم، اقفل التاجر دكانه ، وترك الفلاح سكته ورمى الصناع آلاته وترك الاجير رشاءدلوه وخرجوا فى سبيل الله لا يلوؤن على شيئى ولا يصدهم شيئى كأنهم كانوا من ذلك على ميعاد وفى ديارهم واهلهم على مسامحة ورخصة ،

و ترونهم يتجولون فى البلاد و يسيحون فى الارض ويتغربون فى دين الله كانهم خلقوا على ظهور الخيل و وولدوا على متون الابل يعدون غدوة اوروحة فى سبيل الله افضل من الدنيا وما فيها فيصلون النهار بالليل والشتاء

بالسيف حتى يحتاج امامهم الى تحديد اغترابهم باربعة اشهر وهم اينما رحلوا ونزلوا مدارس سيارة و مساجد متنقلة وهكذا نشروا الدين من اقصى الارض الى اقصيها ومن شرقها الى غربها ،

هذه مدينة الرسول على ساكنها الف الف سلام فى القرن الهجرى الاول ، وهكذا كان يجب ان يكون العالم الاسلامى كله - اذا كان عالما اسلاميا - فكما ان الرسول صلى الله عليه وسلم امام المسلمين باجمعهم والاسوة العامة لجميع المسلمين فى كل زمان ومكان كذلك مدينته امام المدن الاسلامية والاسوة العامة لها فى كل زمان فان النبى صلى الله عله وسلم قد انتهج منهجا للحياة وهذه الحياة قد تمثلت فى مدينته فى عهده ويجب ان تتمثل فى جميع البلدان الاسلامية فى كل زمان ،

ولكن كيف السبيل الى ذلك وقد انحرفت حياة المسلمين عن مركزها وكانها رحى لاتزال تدور ولكن ليس حول قطبها ، فتسمع لها جعجعة ولا ترى طحنا ، ولا يستقيم سيرها ولاينتج عملها الا اذا عادت الى قطبها ،

وذلک القطب هو كلمة الشهادة التى يدين بها كل مسلم فينبغى ان تتوغل اصولها وعروقها فىاعماق القلب والذهن وفى احشاء الحياة وتتمدد فروعها حتى تظل الحياة كلها فلا تخرج ناحية من نواحيها من سماوتها ، وذلک بتجديد العهدبها والتفكر فى معانيها ومقتضياتها والتشبع بروحها وتحقيق مطالبها واحكامها فى الحياة ،

والكلمة تقتضى بالطبع تغييرا جوهريا فى مبدأ الحياة وفى منهاج الحياة ، فامافى مبدأ الحياة فهومعنى قوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» واما التغيير فى منهاج الحياة فهو نقلها من حياة المادة الى حياة الايمان والاحتساب او بلفظ آخر نقلها من الحياة البشرية العامة الى الحياة النبوية الخاصة

والذى يساعد فىهذا التغيير ويمهدله السبيل هوا لصلوة التى هى الصورة المكبرة للكلمة والصورة المصغرة للحياة الا سلامية حياة الخضوع والا نقياد لله سبحانه وتعالى فهى تفصيل الكلمة وايجاز الحياة وكانها جسر منصوب بين الاعتقاد والحياة وبين القلب والجسم ، لايصل بغيرها

الانسان من العقيدة الى العمل

والذى يساعد فى تغيير منهاج الحياة واساليبها ووضعها وينقل من الحياة المادية المحضة الى حياة الايمان والاحتساب ويحرض عليه هو العلم الذى يعرف به الانسان الثواب والعقاب وفضائل الاعمال وصفة الجنة وما اعدالله لاهلها فيها من نعيم ، واخبار الصحابة وسلف هذه الامة التى تبعث فى الانسان عاطفة العمل وتنفخ فيه روح النشاط ، وتهيج فيه الحينن الى الجنة وذلك هو الروح الذى أتى بخوارق ومعجزات فى التاريخ البشرى وخليق بان يعيدها فى هذا الزمان ،

والذى يبعث الاستقامة على هذا المنهاج ويذلل الصعاب هو ذكر الله تعالى وهو عبارة عن طرد الغفلة ومن طرقه التسبيحات والاذكار المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم فالمحافظة عليها بايمان واحتساب تطرد الغفلة وتنير القلب وتغذى الروح ،

ثم الانتقال من حياة اللزوم الى حياة التعدية ومن الحياة الدينية الفردية الى حياة الدعوة والرسالة الاجتماعية وهى

الميزة التى تمتازبها هذه الامة بين الامم كما قدمنا ، وتمرين الدين عمليا فى ميادين الجهل والغفلة وفى مجتمعات الضلالة بالتواصى بالحق والدعوة الى الدين ،

وليكن ذلك مع مراعاة دقيقة للآداب الدينية ومع محافظة شديدة على احترام شخص المسلم مهما كان جاهلاً وبعيداً عن الدين ، وتقدير ايمانه المستور فى حجب الجهل والغفلة ومعرفة حقه وفضله والا تنقلب هذه الحركة فتنة وهذا الاصلاح كفاحاً ويكون ضرره اكبر من نفعه

وكأنى هنا بقائل يقول هذا الكلام كله حسن معقول لا يختلف فيه اثنان ولكن ماهو الطريق ؟ قد جربنا الاصلاح الدينى مراراً فلم نفلح نشرنا فى ذلك الكتب ووزعنا المطبوعات واسسنا لاجل ذلك جمعيات والقينافى هذا الموضوع محاضرات ، وكان كل ذلك صيحة فى واد و نفخة فى رماد ، لان المسلمين غائصون فى لجة الحياة الى آذانهم ، ومادامو مأسورين لا شغالهم ومحيطهم فانك تضرب فى الحديد البارد ،

اقول نعم لايمكن تغيير فى حياتهم الا اذا اخرجناهم

من هذه اللجة لوقت قليل وخلصناهم من سلطان الاشغال وسيطرة المحيط وتمكنت فيهم التعاليم الدينية ، ثم لاباس ان يرجعوا الى لجة الحياة ويعودوا الى اشغالهم فانهم يومن عليهم الغرق ،

وانا اضرب لكم ايها السادة لذلك مثلا عمليا ،

رقعة ذات مساحة واسعة فى جنوب دهلى تقطنها اربعة ملائين من المسلمين وقد اسلموا فى زمن قديم ولكن كان اسلامهم سطحيا فلم يتأثروا بالاسلام كثيراً ولم تنقطع صلتهم بحياتهم الجاهلية الاولى وبقيت فيهم اوتسربت فيهم من جيرانهم الكفار شعائر جاهلية ، اسماء غير اسلاميه ، اعمال وثنيه ، اخلاق همجية وعادات و تقاليد هندكية ، يطوف كثير منهم حول الصنم ويقربون له القرابين ويقدسون روث البقر ويخشون آلهة القبائل ويحتفلون با عيادالمشركين وقد نسى كثير منهم كلمة الاسلام وطال عهدهم بالصلاة حتى نسوا شكلها فاذا رأوا احداً يصلى كادوا يكونون عليه لبدا ويرمونه بالجنون اوالخبل، والمساجد فى ارضهم نادرة جداً واما العلم الدينى فقد كان فى هذه القطعة الكبريت الاحمر،

وقدا اصبحوا ببعدهم عن الدين وتعاليمه و الانحطاط في الخلق والامعان في الجهالة والامية مثلا في الادب الهندي لسوء الاخلاق ورمزاً للصوصية والاغارة وقد اتعبوا حكومة دهلي في عهد دولة المماليک حتى الجأوها الى غزوهم في بلادهم وكبح جماحهم وقطعت لذلک بعوثا واخيراً ارسلت جيشا كثيفا اوغل في بلادهم وخضد شوكتهم فاستراح اهل دهلي من غاراتهم الا انهم لم يتركوا اللصوصية وقتل النفوس وسرقة السائمة

بقيت هذه الرقعة الواسعة من ارض الهند وهي من العاصمة الاسلامية والمركز الثقافي على طرف الثمام وبقيت هذه الامة الموهوبة النجيبة القوية مهجورة قرونا طوالاً لاترغب حكومة في تعليمها وتثقيفها ولا يعتني مصلح ديني بتقويم عوجهم حتى كان العقد الثاني من القرن العشرين المسيحي فاشرأب الارتداد في الامم التي انتقلت من الوثنية الى الاسلام قبل قرون وخشي اهل النظر على اهل ميوات الارتداد ايضاً ،

هنالک قيض الله للاسلام رجلاً من عباده المخلصين

والعلماء العاملين وهو مولانا محمد الياس الكاندهلوى الدهلوى (١٣٠٣ــ١٣٦٣هـ) فطاف فى هذه القطعة من اقصيها الى اقصيها واوغل فى اوديتها و سهولها وجبالها وتحمل فى ذلك مشاق السفر والجوع والسهر وتعرض للخطر ايمانا واحتساباً وجهاداً فى سبيل الدين وشاهد ما عليه الناس من جهالة وغفلة عن الدين فلم يربدأ من نشرالعلم الدينى فى هذه الامة الامية وتاسيس المدارس والمكاتب لذالك ،

حث الشيخ اهل البلاد على تأسيس المدارس الدينية وكانت له معهم اواصر دينية قديمة لان كثيراً منهم كانوا قد بايعوا اباه الشيخ محمد اسمعيل (م ١٣١٥هـ) وكثير منهم قد قرأوا على اخيه الشيخ محمد (م ١٣٣٦) وكثير منهم بايعوه ، والح عليهم فى ذلك فلم يرفيهم رغبة واقبالا عليه ورائى منهم احجاما وفراراً ، ولم يزل يفتل فى غاربهم حتى تمكن من تأسيس عدة مكاتب بعد جهد طويل و سوال ملح ، وتولى نفقاتها وتكاليفها ،

تأسست المكاتب وجرت مجريها الطبيعى ولكن تأسف الشيخ جدا لمارائى ان اهل ميوات لايتما ونون على ذلك

وحتى الناس لايسمحون لا ولادهم بالتعلم فيها ويعدون ذلك ضياعاً للعمر ، لانهم لايعرفون قيمة العلم والدين ولا يعدونهما حاجة من حاجاتهم ، فاصبحت المدارس الدينية في بلادهم كالقنصلية الاجنبية في بلاد لادخل لها في حياة البلاد ولا رغبة للامة في شئونها وانما تلجأ اليها في بعض الاحوال ،

ورائى ان هذه المدارس كجزيرة في بحر الظلمات يحيط بها الماء من اربعة جوانب ، فالذين يتعلمون فيها لايخرجون من سلطان البيئة ونفوذ المجتمع واذا خرجوا منها ودخلوا في معترك الحياة - وهي ثائرة على الدين - اضاعوا علمهم وضاعت فيهم تلك الجهود التى صرفت في تعليمهم و تربيتهم الدينية وضاعت فيهم تلك الاموال التى انفقت عليهم طول المدة ،

نعرف بعد هذا الاختبار ان الجهود التعليمية لاتثمر ولا تنتج مادام المحيط ثائراً عليها مزاحماً لها وان المدارس والمكاتب والاصلاح لا يؤثر اذا لم تكن للامة رغبة عامة والتماس للدين وشعور بنقصها الديني وان المتخرجين منها

لا يوثرون في الحياة ولا يقدرون ان يحافظوا على دينهم وخلقهم مادا موا في الامة وفي أسرهم ومجتمعهم كالاجانب والغرباء .

ثم رأى ان الذين يتلقون العلم في المدارس هم عدد قليل جدا يعدون على الاصابع وان هذالعدد القليل لايقتنع به في اصلاح امة ،

وان هذه المدارس انما تنقل العلم الى افراد - والامة على حالها - ولكن نحتاج الى مشروع ينقل الامة فضلاً عن الافراد - الى الدين والعلم ، وذلك هوالفرق بين المعلمين والمرسلين فان المعلمين انما ينقلون العلم الى الافراد والانبياء ينقلون الامم الى غايات العلم ولبابه وان المشاريع التعليمية تقسم العلم بين الامة قسمة ضيزى ، فتجتمع كميات كبيرة من العلم عند افراد ويبقى سائرالناس كالهمج الرعاء فلو قسم هذا العلم على الامة لوسعهم، وانها كالربوا يصبح به افراد من الناس اصحاب ثروة كبيرة وسائر الناس لايجدون كفافاً ،

ثم رأى ان الذين قد خرجوا من سن الدراسة

والتعليم وتقدم بهم العمر لاينتفعون بهذه المدارس ولايفسح وقتهم للتعلم فيهـا ، فلابد اذاً من دعوة عامة الى تعليم الدين بطريقة وجيزة سهلة طبعية لاتشق عليهم ولا تطول وتشمل جميع طبقات الامة

ولكن كيف السبيل الى ذلك وقد استولى الحياة الدنيوية وتكا ليفها على ابن القرن العشرين فاخذت بمجامع القلوب وأسرت الروح و غلت الايدى و صفدت الا قدام فاصبح الانسان فى القرية والمدينة رهين بطنه ، أسير شغله ، حلس بيته اوحانوته او وظيفته ومـاتت فى النـاس العاطفة الدينية ورضوا بالحياة الدنيا واطمأ نوابها ،

اهتدى الشيخ بفراسته الايمانية ونظره الثاقب وبمجاهدة فى سبيل الدين لقوله تعالے « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وبدراسته العميقة النادرة لاصول الدين الى مركز العلة فى جسم هذه الحياة وهو الاستغناء فى امر الدين و الاخلاد الى الحياة فضرب على الوتر الحساس ودعاالناس فى ميوات اولا وفى المدن الهندية آخراً الى تفريغ اوقاتهم اربعين يوماً اواربعة اشهر مثلا ـ للدين وانقطاع الى تعلمه

لمدة قصيرة فكانت دعوة غريبة طارئة ولكن الشيخ لم يفشل ولم ييئس واستمر فى دعوته و دعائه حتى لبى الناس دعوته وخرجت عصائب الى مراكز العلم والدين وعليها امير منهم يرأسهم ومعلم يعلمهم مبادئ الدين واحكامه والقرآن ، ويقرأ عليهم فضائل الصلوة والذكر والعلم والقرآن وقصص الصحابة واخبار جهادهم وجهدهم فى سبيل الدين وحبهم للرسول عليه الصلاة والسلام ، واستهانتهم بهذه الحياة وحنينهم للاخرة وتوقهم الى الجنة وايثارهم على النفس وزهدهم فى الدنيا ومسارعتهم فى سبيل الخير و خشيتهم الله الى غير ذلك مما يحرك الساكن من قلوبهم ويثير الكامن من عواطفهم ويذرف الجامد من عيونهم ويشعل فيهم شعلة الحياة الاسلامية ،

ثم يخرجون فى اوقات مناسبة فيطوفون فى القرى ويمرون على البيوت ويحادثون الناس فى امكنتهم ويغشونهم فى انديتهم فيجلسون اليهم ويحرضونهم على الاقبال على الدين ويفهمونهم الغرض الذى خلقوا لاجله والغاية التى بعثوا لها ، وانهم لم يخلقوا عبثا ولم يتركوا سدى ويرهبونهم

من النار ويشوقونهم الى الجنة ويرغبونهم فى تعلم الدين والمبادرة الى ذلك ويخوفونهم من التسويف والمماطلة ويدعونهم الى مركزهم الذى قداقاموا فيه ليكلموهم فى تفصيل وذلك كله فى لطف ورفق ولين واحترام لايمان المخاطب وتقدير لاسلامه فى غير ازدراء ولا فظاظة وهم يغضون الطرف عن الحرام ويلهجون بالذكر اثناء الكلام ،

وهكذا يقضون اوقاتهم فى طلب العلم والدين وفى العبادة والجهد للدين وفى الاختلاط بجماهير الامة والاتصال بها فى سبيل الدين تحت نظام محكم متقن لا يتسرب فيه الفساد ولا تتطرق اليه الفتن ، لان حول العاملين والمتطوعين حصنا حصينا من الذكر والدعاء وحارسا من اكرام المسلمين والتذلل لهم كافة والتجنب عن كل مالا يعنيهم فى الدين والدنيا ،

وكان لذلك نفع ملموس ، قد تجلى فى ناحيتين ، الاولى ، ان المتطوعين الذين قضوا قسطاً صالحاً من اوقاتهم تغير وافى انفسهم ، عرفوا مبادى الدين واحكامه الا ولية واستيقظت فيهم العاطفة الدينية وهبت عليهم نفحة من نفحات الحياة الاسلامية ،

وقد رأئينا طلائع هذه الحياة وآيات النهضة الدينية فى ميوات فرائينا تغيراً مشاهداً فى المعتقد والاعمال والاخلاق ، رائينا مدارس تشاد ومساجد تبنى وتعمر وجنايات تقل وتندر ، وفتناً تضمحل ، وبدعاً تموت ، وتقاليد جاهلية ترتفع ودعوات دينية وتعليمية تثمر وتزدهر ، ونفوساً جامحة تلين وقلوبا جافية ترق وعيونا تذرف ، وهمماً تعلو فى سبيل الدين واجلا لا لاهل العلم والدين وخضوعاً للحق مما لوجاهد الانسان اواحد منها بالاستقلال لا ستغرق وقتا طويلا وجهداً كبيراً ،

ورائينا كذلك فى اوساط المتصلين بهذه الدعوة والحركة والمتطوعين لها من الناشئة الجديدة والطبقة المثقفة والموظفين والتجار آثار الانقلاب الدينى ، رائينا وحشة عن الدين تزول و تتبدل بالانس ، وتنافراً بين طبقتى المتدينين والمتمدينين اوالمتنورين–كما يسمون انفسهم– يرتفع واجلالاً لشعائر الاسلام وتعظيمها يحل محل الاستهزاء والسخرية منها ، ورغبة فى تعلم الدين ومعرفة احكامه تشتدو تلح الى غير ذلك مما يمتازون به عن اقرانهم واترابهم وزملائهم ،

والناحية الثانية ان الجماهير من المسلمين لم يزالوا يبتعدون عن الدين بالتدريج حتى اصبحوا فى واد والدين فى واد وتشاغل عنهم العلماء واصحاب الاصلاح والتعليم حتى انفصلوا عنهم فى كل شيئ واصبح هولاء امة واولئك امة تختلف الاولى عن الثانية فى العادات واللباس ومظاهر الحياة واللغات واللهجات ، واصبح هولاء العامة بجهلهم فريسة لكل صائد و اتباع كل ناعق تنهشهم سباع المادية وتغير عليهم لصوص الدين ، واخيراً فشت فيهم دعوة الشيوعية ووجدت انصارها فى عامة المسلمين مرتعاً خصبا ، ولكنا نتوقع ان هذه الدعوة الدينية والحركة الصحيحة والاتصال بالجماهير والطبقات المنحطة فى العلم والدين والمعاش مباشرة وبذل النصح لها يصد هذا التيار انشاءالله ويكون سداً منيعاً فى وجه الحركات اللا دينية

عرفنا ايها السادة بعد الاختبار الطويل انه لايمكن بقاء هذه الامة كامة دين ورسالة و حياة خاصة الا بالدعوة والرسالة

و عرفنا كذلك انه لايزدهر مشروع اصلاحى او

تكميلى الا بالدعوة الدينية الاولى على طريق التحريض والدعاية لا على طريق النظام والسياسة فى البداية فالحياة المدنية فى الاسلام مبنية دائما على اساس الحياة المكية : وكل مؤسسة لاتقوم على اساس الدعوة والتحريض الدينى ولا تسبقها جهود فى تمهيد الارض ، الى انهيار فى العاجل اوالآجل اقتنعنا بهذه المبادئ وجربناها فى بلاد بعيدة عن مركز الاسلام ، فى ارض وعرة قدا هملت منذ زمن طويل فرائنا الغراس يثمر والجهد القليل يأتى بحاصل كبير ،

وها نحن اولاء نتحف اخواننا المسلمين فى البلاد الاسلامية عامة وفى الاقطار العربية خاصة بهذه الدعوة الدينية ومبادئها وقد تلقيناها منهم فليتلقوها اليوم من اخوانهم ويقولوا «بضاعتنا ردت الينا» ويجربوها فى تربتهم الزكية الندية وفى اممهم النجيبة الذكية بجهودهم المتواصلة القوية ويشاهدوا سنة الله الابدية فى نصر الامة المحمدية و خوارق الدعوة الاسلامية

وتفضلوا فى الاخير بقبول فائق الاحترام ولائق التحية والسلام

١٩٨١٤

قام بالنشر مركز الطبع في بستي نظام الدين ،
دهلي في مطبعة « لطيفي
دهلي الهند •
شعبان سنة ١٣٦٦ هجرية